رواية ظلال متحركة لنازك ضمرة

القدس:١٧-١-٢٠١٣ ناقشت الندوة رواية **الأديب نازك ضمرة** "**ظلال متحركة**" وتقع في ٢٢٢ صفحة من الحجم الكبير، وصدرت في عمّان أواخر العام ٢٠١٢ على حسابه الخاص، وبدون دار نشر، وذلك أثناء زيارته للعاصمة الأردنية عمان قادما من مكان إقامته الدائمة في ولاية كارولاينا الشمالية في الولايات المتحدة الأمريكية، منذ العام ١٩٧٦.

بدأ الحديث **جميل السلحوت** فقال:

الغلاف الخارجي الأول: مركز مدينة أمريكية"Down town"حيث ناطحات السحاب، وأمامه امرأة غير واضحة الملامح ترتدي زيا طويلا، وشعرها منثور متطاير، وفي أعلى يمين الصفحة طائران جميلان يقفان على غصن مزهر، وعلى أعلى اليسار رسم لطائرة مدنية نفاثة. وأعتقد أن رسم الغلاف لوحة جميلة تعكس مضمون الرواية.

مضمون الرواية: كتب المؤلف في الصفحة ٧ "الرواية خليط من الميثولوجيا، النباهة، السحر والواقعية."فروايته واقعية حتى النخاع، ويبدو أن فيها الكثير من ذكرياته الشخصية وسيرته الذاتية، فهي تتحدث على لسان بطلة الرواية"فهيمة المط" المولودة في حيّ المهاجرين في عمّان

هي ووالدها من قبلها، وزواجها من قريبها زكي المحجوب المولود في إحدى قرى رام الله، وفهيمة ترى نفسها من أصول أردنية، في حين زوجها يرى نفسه فلسطينيا، لتؤكد على لسانه مرات ومرات على وحدة الشعبين الأردني والفلسطيني بعد ضمّ ما تبقى من فلسطين بعد نكبة العام ١٩٤٨ والذي عرف باسم الضفة الغربية إلى الأردن في وحدة اندماجية، وقد سردت فهيمة المط الكثير من الحكايات والقصص عن نفسها وعن أسرتها، وعن الحيّ الذي ولدت فيه، وسردت قصة خطبتها وزواجها من زكي المحجوب، وسكنها معه في بيت مستأجر في رام الله، حيث كان يعمل مدرسا بعد اكماله المرحلة الثانوية من دراسته، ثم عمله مدرسا في السعودية، ولاحقا حيث استكمل دراسته الجامعية في الولايات المتحدة الأمريكية، وعمل فيها واستقر، وتنقلاته وزياراته لأكثر من دولة، ومرافقتها له في عمله في السعودية وفي أمريكا، وعودتهما إلى عمان أكثر من مرة، إلى انفصالهما بدون طلاق قبل عشر سنوات.

الأسلوب: استعمل الكاتب أسلوب السرد القصصي بلغة انسيابية بليغة، لا ينقصها عنصر التشويق، وقد اعتمد الكاتب على أسلوب الاسترجاع "Flash back" بطريقة جميلة ولافتة، لا إقحام فيها، فتداخلت القصص والحكايات المتنوعة والطريفة والصادقة وغير المتخيلة، مما يحث

القارئ على متابعتها.
وإذا كان الزوج زكي المحجوب هو الشخصية الرئيسة في الرواية، فان الكاتب أبدع بأن جعل زوجته فهيمة المط هي السارد والراوي لمسيرتها ومسيرته، فكان هو الزوج والمعلم والأب والموظف والموجه، والصابر والمثابر، والعاشق والحكيم وصاحب الرأي السديد في الأحوال جميعها، في حين كانت هي تعترف بأخطائها وهفواتها، ومع ذلك كان يتحملها، بل كان يوجهها ويرشدها، حتى أنها تعترف بأن والديه"حماويها" كانا رؤوفين رحيمين بها، ومع ذلك لم تقبل العيش معهما كما كانت هي العادة السائدة في ذلك الوقت، وقد تطرقت إلى كثير من العادات والتقاليد، فعندما تركها في رام الله وعمل مدرسا في السعودية، ولم يصطحبها معه في البداية، كان يقسم راتبه إلى ثلاثة أقسام، قسم لوالديه، وقسم لزوجته، وقسم لأشقائه الذين كانوا يدرسون في الجامعة، في حين كان هو يعيش من دخل عمل إضافي. كما تطرقت إلى بعض العادات التي كانت سائدة في السعودية مثل عدم خروج النساء في الرياض إلا مع زوج أو محرم، وبنقاب، ويمنعن من الاحتكاك بالجيران والجارات، وروت كيف زارتها إحدى زوجات جارهما في الرياض، وكيف طلبت منها مراقبة حمير في مرحلة التزاوج، وكيف تناقشتا في ذلك، كما سردت كيف كان المطوّعون يضربون على بوابات البيوت في ساعات الفجر الأولى

لإجبار الرجال على الذهاب للصلاة في المسجد، وروت كيف تعرض زوجها وهي برفقته للضرب في أحد أسواق الرياض من جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لذنب لم يقترفه، وكيف تعرض للاحتيال من مواطنين سعوديين اشترك معهم في شراء قطعة أرض فأنكروا حقه، ولم يعطوه شيئا، وهذا لا يعني أنها لم تتحدث عن عادات وتقاليد سكان حيّ المهاجرين في عمان، حيث ولدت وترعرعت، بل تحدثت عن عادات الشركس في الزواج، وعن الفقر المدقع، وممارسات بعض النساء للرذيلة خصوصا تلك المرأة التي كانت تمارس البغاء بعلم زوجها، وكانت هناك لقطات عن مأساة بعض اللاجئين الفلسطينيين وحاجتهم وعوزهم في السنوات الأولى للنكبة. وكذلك الأمر في رام الله واستئجارهم بيتا من أمّ جريس التي بقيت جارة لهم، تلك المرأة المغترب زوجها في أمريكا منذ ١٥ سنة في حينه، وتركها وحيدة مع أبنائها.

لقد سردت كثيرا من الحكايات والقصص عن حياتهما الزوجية بما فيها العلاقة الحميمة داخل غرفة النوم.

لقد دخل الكاتب في التفاصيل الصغيرة والكبيرة لحياة زكي المحجوب وزوجته فهيمة المط، منذ ولادتهما وخطبتهما وزواجهما، وإنجابهما وعملهما، واغترابهما في السعودية وأمريكا، وتطرق لاختلاف البيئة والعادات بين شعب وشعب في ترحالهما وحتى في إقامتهما، كما مرّ في الرواية بشكل

سريع عن نكبة الشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨، وهزيمة حرب حزيران ١٩٦٧ وانسحاب الجيوش العربية بدون قتال، وهذا سبب سفره إلى أمريكا وتعلمه وعمله وإقامته هناك، وكأنه يرفض العيش في وطن محتل. ومع ذلك جاء في الصفحتين الأولى والثالثة تحت عنوان الرواية"بقي الكثير نقوله في رحلة ثانية."

وتتبع أهمية هذه الرواية أنها تشكل توثيقا لجوانب مرحلة معاشة لفترة زمنية من حياة أسرة فلسطينية، تداخل فيها أكثر من عامل لتشتتها واغترابها، وسعيها الدؤوب لحياة كريمة، كما أنها توثق بعض العادات والتقاليد والمؤثرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

ويسجل لأديبنا السبق في أن السرد الروائي جاء على لسان الزوجة، وليس على لسان الزوج، وهذا انحياز منه لصالح المرأة في مجتمعاتنا الذكورية، مع أن ترسيخ ذكورية المجتمع بقيت راسخة في الرواية من خلال الدور الفاعل للرجل، والدور المهمش بل والتابع للمرأة، بل انه ربما أراد أن تتكلم الزوجة فهيمة نفسها لتدين نفسها بنفسها، وليبرر زواج زوجها زكي المحجوب من ثانية، وهجره لفهيمة منذ عشر سنوات وتركها بدون طلاق.

اللغة: لغة الكاتب بليغة انسيابية جميلة، وعنصر التشويق طاغ فيها. وواضح أن الكاتب قد استفاد كثيرا من تجاربه الروائية والقصصية السابقة. لكن الرواية لم تخلُ من

الأخطاء اللغوية والمطبعية والنحوية، وتنقصها علامات الترقيم بشكل واضح.

وكتب **موسى أبو دويح:**

ينقلنا الكاتب في أكثر فصول روايته من حي المهاجرين في عمان إلى منزل أمّ جريس في رام الله وإلى جدّة أو الرّياض في السّعوديّة، وإلى ولاية تكساس الأمريكيّة بطريقة عفويّة مترابطة محكمة، وإن كان بين أحداث بعضها عشرات السّنين.

ويتنقّل هو وزوجته فهيمة من عمّان إلى الشّام وإلى بيروت وإلى بغداد وإلى الكويت وإلى مصر، وحتّى بلاد اليونان أكثر من مرّة في فقرة واحدة، بل قُلْ في جملة واحدة ليس بينها إلا الفواصل، والنّقطة في آخرها.

ولقد جاء التّكرار في الرّواية لافتًا للنّظر، فتكاد الرّواية تتكرّر في كلّ فصل تقريبًا.

جاء في الصّفحة التّاسعة من الرّواية (الصّلاة بالقلب، والعقل، والفهم)، وغالبًا ما يفهم من مثل هذا الكلام أنّه لا داعي للصّلاة وإنّما يكفي صفاء القلب، وحضور العقل، وحسن الفهم، وهذا الفهم غير صحيح. وكان الأولى للكاتب أن يقول لا بدّ في الصّلاة من اطمئنان القلب، وحضور العقل، لقوله عليه السّلام "لك من صلاتك ما عقلت منها."

ومن روائع التّربية الّتي جاءت في الرّواية صفحة (٢٩) قوله: "ما دام الآباء ينبّهون الأبناء، فالأرض ستبقى مكانها، تنتظر أصحابها كي يستردّوها ثانية، ثمّ يقول: إنّ المسلمين لا ينسَوْنَ الظّلم مهما طال."

وجاء على لسان الزّوج زكيّ مقارنة بينه وبين شاعر الأردنّ عرار (مصطفى وهبي التّلّ) قوله: (والفرق بيني وبين عرار أنّه لا يوجد لا سكر، ولا عربدة، ولا زنى في الجوّ الّذي عشته وعايشته، طهر ونقاء وبساطة بعيدة عن الزّيف). وهذا ظلم لعرار؛ حيث جاء في كتاب البدويّ الملثّم يعقوب العودات (عرار شاعر الأردنّ) والّذي كتب عن حياة وشعر عرار بالتّفصيل، قول عرار في رسالة لولده: "إنّ كلّ ما قيل عن أبيك، وكلّ ما يتناقله النّاس عنه كذب وافتراء، فأبوك لم يقترف إثمًا ولا ذنبًا، وإنّما عاش حياته مستقيمًا خارجًا على الحكّام، محاسبًا لهم على تقصيرهم وظلمهم"

وجاء في الرّواية كلام على منوال ما جاء في القرآن الكريم، مثل قوله في صفحة (٧٣): (يا بنتي أدعو الله أن يعينك على الصّبر والسّكن معنا لسنتين على الأقلّ، وإن أكملت ثلاثًا فمن عندك). وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى على لسان شعيب لموسى عليهما السّلام: "إِنِّيْ أُرِيْدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هاتَيْنِ عَلى أَنْ تَأْجُرَنِيْ ثَمَانِيَ حِجَجٍ، فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ."

وجاء في صفحة (٧٧): (اخلعي نعليك إنّك بواد الزّيتون). وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى مخاطبًا موسى عليه السّلام: "اخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ المُقَدّسِ طُوًى". وغير هذا كثير.

أكثر الكاتب في روايته من الوصف الدّقيق للأشخاص، وللأماكن، والأسماء، حتّى إنّه في صفحة (١٤٢) ذكر تسعة من جبال عمّان، ونسي ستّة جبال هي: الأشرفيّة، والويبدة، والنّظيف، والأخضر، والنّزهة، والقصور.

وجاء في وصفه لشابّة تسير في شارع المهاجرين قوله: (شابّة ممتلئة جدًا، تجرّ نفسها، وأمامها وحولها وخلفها ثمانية من أطفالها، ولولا سمنتها لسحرت أيّ شابّ عابر في الشّارع؛ لجمال تقاطيع وجهها وعينيها، يتعلّق أطفالها بها، تحمل اثنين على حضنها، واثنان يمسكان بأيّ جزء من بدنها أو ردائها القديم الخفيف، وأربعة أمامها أو وراءها أو على جانبيها، وأقدّر عمر أكبرهم باثنتي عشْرةَ سنة، والقادم ربّما أعظم، شدّت إحدى بناتها رداء أمّها لتمسك بها، تظهر تفاصيل جسدها الّذي تضخّم، ربما من كثرة أكل الخبز، والبطاطا، والأَرُزّ، والشّحوم الّتي يعافها المترفون، أو أنّه حمل جديد، ردفان منفصلان عريضان مرسومان بوضوح، وكتفان كأنّهما وسادتان، وثديان منتفخان يكادان يفجران رداءها الخفيف كبالونين، تفاصيل بدنها جليّة، كأنّها لا ترتدي ثوبًا، تملأ شارع السّيّارات هي وأطفالها، عمّان ساحرة لكثرة ما ترى فيها

من العجائب والتّنوعات.

جاءت الرّواية باللّغة الفصيحة، وباللّغة العامّيّة المحكيّة بأسلوب مشوّق، لكن فيه كثير من التّكرار.

أمّا الأخطاء اللّغويّة (الإملائيّة، والنّحويّة، والصّرفيّة) والأخطاء المطبعيّة فحدّث عنها ولا حرج، فما أظنّ رواية من الرّوايات حوت من الأخطاء ما حوته هذه الرّواية.

وممّا جاء في الرّواية من الأخطاء:

١. في صفحة (١٠): (مدينة ايرفتح في تكساس)، والصّحيح: ايرفنج حيث كتبها صحيحة في صفحة (١٢). وفيها: (كي يرض)، والصّحيح كي يرضى. (والدّفء يطمئن القلب ويشعرها بالسّلام)، والصّحيح ويشعره بالسّلام.

٢. في صفحة (١١): (أربع بنات وأولاد أربعة)، والصّحيح: وذكور أربعة، أو صبيان، أو فتيان؛ لأنّ كلمة ولد تطلق على الذّكر والأنثى. يقول تعالى: "يوصيكم الله في أولادكم للذّكر مثل حظّ الأنثيين". وفيها: (أكبرهم بعمر بعمر ثلاثة عشر)، بعمر الثّانية مكررة زائدة يجب حذفها. وفيها: (ودعنا كثير من العائلات، وكذلك

الكاهن ومساعديه)، والصّحيح ودّعْنا كثيرًا من العائلات، وكذلك الكاهنَ ومساعديه. أو ودّعَنا كثير من العائلات وكذلك الكاهنُ ومساعدوه.

٣. في صفحة (١٤): (لفت انتباهي)، والصّحيح: لفت انتباهي.

٤. في صفحة (١٧): (إنّ الزّمن الباقي للوصول كان ثلاثة عشر ساعة)، والصّحيح: ثلاث عشرة ساعة. وفيها (لمحت الكثيرين منهم قلقين وآخرون فرحين)، والصّحيح وآخرين فرحين.

٥. في صفحة (٢١): (تقول: سافر بعد أقلّ من أربعة شهور على زواجنا)، وفي صفحة (٢٣): (تقول: لم يمضِ على زواجنا خمسة شهور)، فهنا فرق بين القولين، ولو استعمل كلمة أشهر الّتي هي جمع قِلَّة لكان أفضل من كلمة شهور والّتي هي جمع كثرة.

وشارك في النقاش كل من **الطفلة ديمة عدنان النتشة، محمد موسى سويلم، نبيل الجولاني والروائي حسين ياسين.**